المجلة المغربية للبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⵔⵕⵉⴱⵉⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵉⵔⵉⵏ ⵅⵉ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵉⵏ ⵜⵉⵏⵅⵡⴰⵏⵉⵏ ⴰ ⵜⵉⵏⴰⵙⵉⵏ
Moroccan Journal for Research in the Humanities and Social Sciences
Volume 03 Numéro 02 (Septembre 2024) pp. 180-201

أنطولوجيا المهاجر بين هويتي الانتماء والاغتراب:
آليات التكيف والتفاوض

The ontology of the migrant between the identities of belonging and alienation: Mechanisms of Adaptation and Negotiation

الصديق الصادقي العماري[1] عبد العزيز اجدي [2]

الملخص

تتناول هذه الورقة قضية الهجرة، وتثير إشكالات عميقة تواجه المهاجر في بلاد المهجر من قبيل الهوية، والقيم، والدين والتدين، والتعدد الثقافي. ومن خلال اعتماد تقنية المقابلة الكيفية مع بعض المهاجرين، تبين أن أغلبهم يسعون عبر استراتيجيات التكيف والتفاوض إلى تدبير معتقدهم الديني والحفاظ على لغتهم وثقافتهم وأشكال تضامنهم، وتحقيق وجودهم وانتمائهم، ومحاولة زرع الشعور بالانتماء للوطن الأصل. حيث تصبح العلاقة بين الذات والآخر التي يتم نسجها في سياقات مختلفة، هي التي تحدد شروط الممارسة في كافة المجالات، إما بطريقة سلبية أو إيجابية، انطلاقا من الثقافة التي يحملها كل منهما عن الآخر.

الكلمات المفتاحية: الهجرة؛ الهوية؛ الانتماء؛ الاغتراب

Abstract

This paper addresses the issue of migration and raises profound problems facing migrants in the diaspora, such as identity, values, religion, religiosity, and multiculturalism. Through the adoption of the qualitative interview technique with some migrants, it was found that most of them seek, through strategies of adaptation and negotiation, to manage their religious beliefs, preserve their language, culture and forms of solidarity, achieve their existence and belonging, and try to instil a sense of belonging to the homeland of origin. It is the relationship between self and other, which is woven in different contexts, that determines the conditions for practice in all areas, either in a negative or positive way, based on the culture that each holds from the other.

Keywords: Migration; identity; belonging; alienation

[1] أستاذ باحث، المدرسة العليا للتربية والتكوين، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب
[2] طالب في سلك الدكتوراه، علم الاجتماع، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

تقديم

شكّلت فلسفة الوجود الإنساني مسارات متعددة في تدبير العلاقة مع المحيط والآخر، وآليات مختلفة للعيش والوجود والاستمرار، وأساليب كثيرة للتكيف مع المتغيرات الطبيعية وتصاريف الزمن. لذلك طبعت ثنائية (التحدي والاستجابة) للمؤرخ البريطاني أرلوند توينبي (Arnold Toynbee) اتجاه الإنسان نحو الهجرة من أجل الاستقرار في مجالات وأمكنة متاحة للعيش، هربا من الكوارث الطبيعية والحروب...

إنَّ المتأمل اليوم في حركية التاريخ، يلفي هذا الطابع الهجروي الذي اتسمت به الحضارات فيما بينها، مما أحدث مزيجا من التنوع والاختلاف في كل الثقافات الإنسانية، وولد في مقابل ذلك، إشكالات حقيقية مرتبطة بالهوية والانتماء، والقيم، والدين، والتدين، وحوار الأديان. فالمهاجر اليوم تواجهه في مساره الهجروي سكيزوفرينية ثقافية؛ بمعنى أنَّه يجد نفسه في حالة تمزق وانفصام بين مرجعيتين ثقافيتين متباينتين، وهذا ما يجعله أمام محك حقيقي، وأسئلة وجودية تتعلق بهويته وانتمائه، وبكيفية تدبيره للمعتقد الديني، والصراع الوجودي، والحوار مع الآخر.

تدعونا الثنائيات القائمة في الوقت الراهن: الهوية/الاختلاف، والوحدة/التعدد، والغرب/الشرق، والشمال/الجنوب، إلى إعادة البناء على أساس التصورات والأحكام والرؤى، التي تنبني على أهمية التنوع في إغناء المعارف وتجسير الفجوات بين الديانات، من منطلق الاعتراف والاحترام، وعلى أساس (برانية الحوار) بتعبير هانز جورج غادامير (Hans-Georg Gadamer)؛ وذلك باعتبار الوجود الإنساني وطيد الصلة بنيويا ووظيفيا بالوجود مع الأخر، فضلاً على (جوانية الانتظار) بتعبير مارتن هايدغر (Martin Heidegger)؛ أي أنَّ التفاعل الحواري لا يخضع لأيّ علاقة كيفما كان نوعها.

والمهاجر في البدء هو كائن اجتماعي ثقافي، وشرط وجوده يتحدد بمختلف الممارسات الطبيعية والثقافية المتجذرة في سجيته الأصلية، فلا غرابة إذن، أن نجد في بلاد المجهر تجاذبات وصراعات بين الذات والآخر، لأسباب دينية ووجودية؛ تضمر نوعاً من التوجس الطبيعي والوجودي. كما نجد أيضاً علاقة الأريحية المبنية على أرضية

التسامح والتعايش والقبول بالآخر. هذا يجعلنا نستحضر الثنائية الضدية، بين صامويل هنتغتون(Samuel Huntington) ؛ الذي اعتبر الصراع المفضي إلى المواجهة والاحتراب، كما التنافر والممانعة، هوية ثابتة بين الحضارات. وبين أصحاب نهاية العالم، والنيو إيدج (New Age) المناديان بالتصالح والتعارف والتعايش بين الديانات والمجتمعات.

وبناء عليه، سنحاول من خلال هذه الورقة، تصويب الرؤية لمجموعة من الأفكار والرؤى التي تثيرها قضية الهجرة، والوقوف على الواقع المعاش للمهاجر، وكيفية تدبير وجوده ومعتقده الديني، فضلا عن التركيز على علاقته بمسألة الهوية والانتماء، وآليات التكيف والتفاوض في السياق الهجروي.

1.شروط إنتاج وإعادة إنتاج هوية المهاجر

تتشكل الهوية انطلاقاً من الإحساس بالانتماء الوجودي الأصلي، الذي يحقق للمهاجر مكانة في مجتمع المهجر، إلاَّ أنَّه إذا لم تكن له قدم راسخة في الهوية والانتماء فإنَّه سرعان ما ينسلخ عن هويته ويذوب وينصهر في هوية الآخر. وفي بلاد المهجر تطرح مسألة الهوية بإلحاح لدى مغاربة الخارج Marocains de l'Extérieur، على وجه الخصوص، والمهاجرين بصفة عامة، وهو ما يعمق الأسئلة حول المآل الملغز لهذه الفئات الحائرة حول اللغة والدين والذاكرة، وقلقها الوجودي في الانتماء إلى بلد ليس ببلده. وفي هذا المجال يبرز السعي نحو تشكيل وبناء الهوية على نحو إيجابي، والنأي عما هو سلبي في العلاقة الجامعة بين المتخالفين، ولعل هذا ما قصده يوما جيل دولوز (Gilles Deleuze) عندما أكّد على أنَّ الأمر يتعلق "ببعد إيجابي بين المتخالفين: إنه البُعد الذي ينقل أحدهما نحو الآخر من حيث هما متخالفان". (بن عبد العالي عبد السلام، 2012)

في السياق ذاته، نجد في في ترسيمة ميشيل فوكو (Michel Foucault) لمبدأ الهوية على الشكل أ=أ، فإن غرضه من هذه الترسيمة ليس طرفي التطابق والمساواة، وإنما قنطرة العبور الفاصلة/الواصلة بينهما. ذلك أن هذه المساواة تنطوي، في نظره، على

حركة داخلية لا متناهية تُبعد كل طرف من طرفيها عن ذاته وتقرب بينهما بفعل ذلك التباعد نفسه. يتعلق الأمر ببعد إيجابي بين المتخالفين، إنَّه البعد الذي ينقل أحدهما نحو الآخر من حيث هما مختلفان، إلى المعنى نفسه يذهب جالك دريدا (Jacques Derrida) حينما يحدد الهوية على أنها حركة توليد الفوارق والاختلافات، "إنها انتقال ملتو ملتبس من مخالف لآخر، انتقال من طرف التعارض للطرف الآخر". (بن عبد العالي عبد السلام، 2012)

أ-الهوية: دلالات و أبعاد

تعد الهوية من التيمات الأساسية التي تعبر عن الانتماء لهذا المجتمع أو ذاك، بما تتضمه من عناصر ومكونات تتفاعل فيما بينها وتتشكل منها الهويةk وهي أربعة: الوطن/الأرض، الدين، اللغة، الثقافة. فالهوية هي "مقولة تعبر عن تساوي وتماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته، أو تساوي موضوعات عديدة. فالموضوعان (أ) و(ب) يكونان متطابقين من حيث الهوية إذا – وفقط إذا – كانت كل الصفات (والعلاقات) التي تميز أ مميزة أيضا للموضوع ب، والعكس بالعكس (قانون لايبنتز). ولكن لما كان الواقع المادي يعتريه تغير مستمر، فإنَّه لا يمكن أن تكون هناك موضوعات تنطبق هويتها بصورة مطلقة على ذاتها، حتى في صفاتها الجوهرية والأساسية". (رُوزنتال و ب يُودين، 1987) وقد أشار عبد اللطيف المودني إلى ثلاثة أبعاد للإحاطة بفهوم الهوية وهي: (المودني عبد اللطيف، 2012)

- **البعد المنطقي:** يتمثل فيما أرسى له أسسه أرسطو، حيث وضع قانون الهوية، واعتبر أن أبسط الأحكام هو الحكم بأن الشيء هو نفسه، وهو أساس التفكير المنطقي.
- **البعد الأنثروبولوجي:** وهو حسب كلود ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss) أن الهوية هي "مجموع المواصفات الثقافية الخاصة بحماعة إثنية (اللغة، الدين، الفنون...)، التي تمنح لهذه الجماعة شخصيتها، وإحساس أفرادها بالانتماء

إليها"، وهي عبارة عن بؤرة افتراضية تشكل مرجعيتنا قصد تفسير الأشياء من حولنا من غير أن يكون لها وجود حقيقي.

- **البعد السياسي والحقوقي:** وترتبط أساسا بـ الهوية والهوياتي، بكونهما متجاورين لـ الوطني والوطنيات/ القوميات، والكل يرتكز إلى خاصية اللغة، ومطالب بالانتماء إلى جماعة لغوية. فـ الأنا من خلال هذه الأبعاد تتشكل عبر تفاعل الهوية والغيرية Identité/Altérité، والآخر، في مختلف مراحل الحياة، هو المرآة التي يحتاجها كل واحد من أجل التعرف على نفسه"، (المودني عبد اللطيف، 2012) وبناء هوية خاصة به، تميزه عن غيره.

وإذا كان البعد السوسيولوجي للهوية - يفيد حسب ما ذهب إليه بيير بورديو (Pierre Bourdieu)- بمثابة بناء اجتماعي، يمر عبر اعتراف الآخرين بها، ويتحدد بعدد من الفاعلين الذين يضعون شروط الانتماء إلى المجموعة، (المودني عبد اللطيف، 2012) فإنَّه يمكننا القول، في حالة المغرب مثلاً، أنَّ الهوية المنفتحة تفيده انطلاقاً من "مجالاته الطبيعية فلا مجال لهوية منغلقة تجتر قيمها في عالم متفتح على نفسه، ولا مكان لها في عالم متحرك يمكن أن يغمر إشعاعها". (غلاّب عبد الكريم، 2012)

ب-المهاجر: إنتاج وإعادة إنتاج الهوية

لا يفتأ المهاجر في بلاد المهجر يفكر في واقعه، من حيث هو "واقع للتيه والترحال وفيما يرافقه من مفاهيم قيمية وإيديولوجية واقتصادية وسيكولوجية، كمفهوم الآخر والهوية والحضارة والوطن والغربة والفقر والغنى والثوابت والإحباط والفزع والمعاناة إلخ، مفهوم اللسان واللغة والرموز، والجسد والوشم والحركات... وتنهار لديه إرادة الاختراق والتجاوز (اختراق هويات مخالفة وتجاوز ثقافات متباينة) والتعايش والتساكن، وجميعها أوهام حفزته على الهجرة اختيار الترحال والفرار والتيه". (الهروي الهادي، 2004)

ونشير إلى مسألة هامة من خلال المقابلات مع المبحوثين[3]، هي إشكالية اللغة، حيث يجدون صعوبة في تعليمها لأبنائهم والنطق بها، وإن كان فقط في مجال البيت، حيث يرفض الأبناء التحدث باللغة الأصلية لبلدهم، وهذا الاضطرار والترك، نجد مسوغه في هذه الدول، حيث الحرية الفردية والمساواة والديمقراطية. فليس "بوسع أحد أن يحل محل الفرد بهذا العمل لتحقيق الاختلاف وقد رأينا أنه لا يمكن اخضاعه بالرغبات الإيديولوجية لسلطة الدولة. ولا الأسرة تستطيع ضمان انتقال القيم التي تحدد هويتها الأصلية. إنه القرار الوجودي لكل فرد وطريقته في التعامل مع مشروع حياته وربطه بمصير الجماعة الذي يحكم تحديد انتمائها". (أوريول ميشيل، 1988) إذن، يؤدي "فقدان اللغة الأم وتلاشي القدرة على استعمالها يوميا يشكلان بالنسبة للفرد وللمجموعة بداية الاندثار الثقافي. فتصبح الهوية بائسة عندما تنقطع عن اللغة التي جاءت بها إلى العالم. فليست اللغة مجرد واسطة بين الفكر والواقع بل هي التي تحدد البنية الذهنية العميقة للإنسان، إذ تصنع اللغة العلاقة مع العالم وتشكلها". (الجطاري بلقاسم، 2004)

في الواقع الهجروي نتلمس الإقبال على المدارس الإسلامية تأسيساً لمجال الانتماء الجديد وسط عالم يتسم بانتماءات متعددة وهويات مختلفة، وسعياً للحفاظ على اللغة والدين. فما يحدد المهاجر باعتباره كائن اجتماعي وثقافي، هو ارتباطه بالهوية التي تبدأ في بلاد المهجر "تفقد عنده طابعها "اللاواعي" و"الطبيعي" لتتحول إلى وجود يسائل نفسه باستمرار ويظل في صياغة وسيرورة دائمة". (الجطاري بلقاسم، 2004) وتسعى كل الأقليات الإثنية الموجودة في ديار المهجر إلى الحفاظ على لغتها وتقاليدها وأشكال تضامنها من الضياع، والانتماء فيما بينها، ضمن إطار التعددية السائدة؛ والتي غالبا ما تتم وفق ثلاث منطلقات ذات دلالات نظرية وعملية وهي: (أوريول ميشيل، 1988)

[3] في إطار موضوع الورقة البحثية، كان من الضروري القيام ببحث ميداني، وإجراء مجموعة من المقابلات مع أفراد من بلاد المهجر، ينتمون إلى مختلف الدول الأوروبية (فرنسا، إسبانيا، بريطانيا، إيطاليا)، والذين تتراوح أعمارهم بين 38 50 سنة، يمارسون أنشطة اقتصادية مختلفة في ديار المهجر.

-وجود طرق مختلفة لإبراز الانتماء (مجموعة من السبل لتأكيد الانتماء الفرنسي أو المغربي).

-لا يمكن لأي انتماء أن يرتقي لمستوى الأصل الواحد الأوحد (يمكن للفرد التشبث بانتمائين في آن واحد).

- يمكن لعدة انتماءات أن تظهر في مجتمع معين (مثلا فرنسا لا يمكن أن تتحدد بوحدة اللغة أو الثقافة أو المعتقدات...ولكن عبر وسائر محددة تمنح نفسها للتعامل مع تنوعها طبقا لروحها التاريخية).

فإذا كان مفهوم الهوية نابع "بموضوعية وذاتية مما يكون به الشيء هو هو، يعني الماهية والإثنية والتشخص والكيان والانتماء، وتحقق هذا الانتماء في الوعي واللاوعي لإثبات إرادة الوجود والحياة، سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة"، (الجراري عباس، 2012) فإن المهاجر في مساراته الحياتية لا يفتأ يذكي الانتماء للأصل ويرتبط به، إما حنينا أو عودة إلى الوطن كلما سنحت الفرصة لذلك، هذا إذا لم يتحول بعض المهاجرين إلى غربيين يدينون بثقافة وجنسية الآخر.

ويؤكّد عالم الاجتماع الفرنسي المتخصص في شؤون الهجرة العربية والإسلامية إيتان برونو (Etienne Bruno)، بأن: "للدولة الفرنسية إشكالية قديمة تتمثل في أسلوب معالجتها لمسألة الأقليات الموجودة داخلها. إن المهاجر الصالح هو ذلك الذي يغيب إما بالعودة إلى وطنه أو بالتحول إلى فرنسي جمهوري وعلماني". (الجطاري بلقاسم، 2004) هذه المسألة لا بد من الوقوف عليها، فالأبناء الذين ازدادوا في أي دولة من الدول الغربية، والذين يعتبرون أنفسهم أبناء تلك الدولة، وأنَّ هويتهم تتحدد بناءً على هذا الانتماء، ولهم بالتالي حق البقاء والادماج والجنسية أيضا، وحتى معاملتهم على أساس أنهم مهاجرين، يرفضونها بحجة ميلادهم في هذا الوطن ولهم كامل الحق في الاستقرار فيه كمواطن أصلي. إذن، مفهوم العودة إلى البلد الأم ليس في أجندات هؤلاء الشباب، لأن حياتهم ومستقبلهم ارتبط بمسقط رأسهم في المهجر.

هذا، وقد عرف التجنس ارتفاعاً في معدلاته، فمثلاً ما بين عامي 1992 و2001 وحدهما، حوالي 430,000، مغربي يعيشون في بلجيكا والدنمارك وفرنسا وإيطاليا وهولندا والنرويج تم تجنسهم، وبحلول عام 2016، كان 25 في المائة من السكان المغاربة الذين يعيشون في إسبانيا متجنس، مقارنة بحوالي 6 في المائة فقط في ألمانيا. (Mohamed, Haas, & Katharina Natte, 2021) هل نتحدث عن انتماء واحد أم انتماءات متعددة في بلاد المهجر؟ يمكننا القول، إنَّ "أغلبية المهاجرين يتقبلون بأن يطور العديد منهم والأغلبية الساحقة من أبنائهم ولاء مزدوجا، يشكل مزيجاً من التصرفات تنم بأوجه مختلفة عن انتمائهم لمجتمعين في آن". (أوريول ميشيل، 1988) فهل يمكن اعتبار ازدواجية الانتماء، وأيضاً ازدواجية التعامل مع الآخر، يدخل ضمن سيرورة إنتاج وإعادة إنتاج الهوية الأصل، أم أنَّها إنتاج لهويتين معا في ذات الآن؟

إنَّ الإحاطة بالهويات الجماعية لشعوب الشتات هي من أصعب المهام التي قد تواجه حكومة من الحكومات. وقد أوضحت الاستطلاعات المنجزة ضمن أوساط المهاجرين البرتغال والايطاليين والعرب على السواء، أوضحت أن ليس هناك علاقة ذات دلالة بين الشعور الذاتي بالانتماء القومي ومنح الدولة قيمة أساس لبناء وحدة وازدهار المجتمع. إنَّه لا مناص من القول، وكما أكّده أيضاً بعض المبحوثين، أنَّ "أغلبية المهاجرين يتقبلون بأن يطور العديد منهم والأغلبية الساحقة من أبنائهم ولاء مزدوجاً، يشكّل مزيجاً من التصرفات تنم بأوجه مختلفة عن انتمائهم لمجتمعين في آن. والمهم بالنسبة لهم حينها هو الحفاظ على سبل التعبئة لإبراز الاختلاف حين يسود الاعتقاد بأنَّ هذا الاختلاف على جانب من الأهمية بالنسبة للشخص أو لذويه، وليس الحفاظ على تراث مشترك.

والهوية بهذا المعنى، تشكّل لدى أي فرد من أفراد المجتمع كيانه الأساسي كعامل أخلاقي، بحيث يقع على عاتقه مسؤولية تغذية وتعزيز هوية المجتمع الذي ينتمي إليه. هذا فضلاً عن أنَّ الفرد ذاته هو نتاج دور المجتمع في تشكيل الهوية. (إتزيوني أميتاي، 2005) فإنتاج وإعادة إنتاج الهوية، يتم من خلال ممارسات ثقافية مشتركة بين

الأفراد، يكون وقعها أشد في بلورة الهوية من جديد، وتمتينها وتنميتها. إلاَّ أنَّه، لا يسلم المهاجرين من محاولات طمس لثقافتهم بشكل يومي، مما يؤدي إلى إنتاج توليفة اجتماعية بشرية عن طريق الاندماج والذوبان، وبالتالي إلى هوية جديدة مغايرة عن الهوية الأصل.

ثانياً: الأنا المهاجروالآخر: أية علاقة:

سمة التغير والتطور تلحق كل الأشياء، فثبات الشيء على حاله وجموده؛ قد يؤدي إلى موته وعدمه، وتغير الشيء وحركيته؛ هو حياته واستمراريته. هذا، وفي موضوع الهوية نجد في معناها الفلسفي تتعلق بعالم المثال؛ عالم الوحدة والثبات، أما في معناها الاجتماعي ترتبط بعالم الواقع؛ عالم التعددية والمتغيرات. (الكتّاني محمد، 2012)

أمام جدلية الثبات وديناميةالتغير فيما يتعلق بمسألة الهوية، نلفي انتقال "هوية الذات الواحدة أو هوية المبدأ العقلي المجرد، إلى هوية الذوات الاجتماعية، متعددة المكونات. فعندما ننظر في هوية (الشخص) فإن الأمر لا يعني كما في هوية المثلث أو هوية الجوهر من وحدة ومغايرة وثبات، وإنَّما يتعلق بكائن يتطور ويتغير، وسط بيئة اجتماعية وتاريخية، تجعل منه الكائن الثابت والمتغير في نفس الوقت". (الكتّاني محمد، 2012) فإنَّ موضوع الهوية من المواضيع التي يصعب الإمساك بتلابيبها، والإحاطة بكل ما تختزنه في ذاتها من ثبات وتغير في نفس الآن، كما أننا لا نصبح أمام (هوية واحدة) بقدر ما نصبح أمام (هويات متعددة). فهناك إذن، "هوية يعيها الفرد في إطار ما يعبر عنه ب الأنا، تجاه الغير، وداخل الأسرة أو داخل المجتمع، وهناك هوية يعيها أي شعب من الشعوب، ويعبر عنها ب النحن داخل معترك التاريخ والحضارة وتفاعل الثقافات". (الكتّاني محمد، 2012)

انطلاقاً مما ذُكر، تؤسس هوية الذات وهوية الآخر في معترك الحياة اليومية لمجموعة من العلاقات، نشير إلى بعضها فيما يلي:

أ-**علاقة الصراع والصدام والتبعية:** فمن خلال بسط السيطرة والهيمنة والتفوق على الغير، اقتضت ضرورة إرادة السيطرة أن يكون غالب/مغلوب، ومتقدم/متخلف، وسعي المتقدم إلى الحفاظ على تقدمه في شتى المجالات. (شوقي الزين محمد، الذات والآخر: تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، 2012) وأمَّا المتخلف فيسير في اتجاه مقولة العلامة ابن خلدون إزاء علاقة الأنا/الآخر، حيث وردت في الفصل الثالث والعشرين من المقدمة أنَّ "المغلوبَ مولَع أبداً بالاقتداء بالغالِب في شعاره وزيّه ونِحْلته وسائر أحواله وعوائده... ولذلك ترى المغلوبَ يتشبَّهُ أبداً بالغالبِ في ملبسه مركبه وسلاحه... بل وفي سائر أحواله... فإنك تجدهم يتشبَّهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم... حتَّى لَقَدْ يَسْتَشْعِرُ من ذلك النَّاظرُ بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله". (ابن خلدون عبد الرحمان، 1996)

على الرغم من ذلك، فالذات تدخل في صراع ضدا على الهيمنة في جميع المجالات، ولا يمكنها الخضوع أو التماهي بأيّ شكل من الأشكال، هذا وتبقى آليات الاندماج والاجتماع مهمة أساسية، إذ هي التي من شأنها أن تسمح بإدراك الذات. (تورين آلان، 2017) ومن جهة أخرى يتولد عن حقل الصراع والهيمنة؛ تنامى ظاهرة العنصرية خاصة في الوسط الغربي، والتي سرعان ما تتحول إلى إيديولوجيا ضمن حركات اجتماعية وسياسية ترفض وجود المهاجرين في أرضها، حتى ولو كانوا ممن حصلوا على جنسية البلد المستقبل، كما حصل مع حركة الجبهة الوطنية لجون ماري لوبان (Jean Marie Lepen). (الجطاري بلقاسم، 2004) من أجل هذا، يصبح اهتمام علم الاجتماع بعدما كان يهتم بدراسة الأنظمة الاجتماعية، أن يتجه رأسا ليُعرّف نفسه بصورة مختلفة، بأنَّه "دراسة للصراعات التي يخوضها الفواعل الاجتماعيون للذود عن حرياتهم وحقوقهم باعتبارهم ذواتاً". (تورين آلان، 2017)

في هذا الصدد، صرح جل المبحوثين، على أنَّ هناك عنصرية دفينة في نفوس الغربيين حول المهاجرين من إثنيات وطوائف شتى، وما يردعهم من تِبْيَانِها للعلن سوى

صرامة القوانين المتبعة في تلك البلدان، غير أنَّ هذا لا يعني ظهورها بشكل بَيِّن بين الفينة والأخرى من بعض الأفراد أو الحركات.

ب-علاقة التوهم والخيال: كما أخبرنا بذلك الأندلسي أبو بكر بن العربي في العصر الوسيط، وعضده جاك دريدا (Jacques Derrida) في العصر الراهن، فالعلاقة هنا ملتبسة وغامضة وغير واضحة وغير مفهومة، ومضمرة وغير معلنة، لذلك نجد تعامل الذات مع الآخر من خلال ما ترتسمه في خيالها، وليس مما يجري في حقيقة الواقع. (شوقي الزين محمد، 2012) وهو ما نلحظه مثلاً، عند العديد من الغربيين ممن يجهلون الإسلام كدين وعقيدة قائمة على التسامح والتعايش، ويحملون صورة مغلوطة انطلاقاً مما تناهى إلى مسامعهم من أخبار، أو شاهدوه في مجريات الأحداث ممن لا تربطهم بالدين الإسلامي الحق أية بصلة.

إنَّ الفكر الفلسفي الغربي عندما طرح فكرة (الأنا) و(الآخر)، عمل على تطوير "مسألة الغيرية والضدية وفتح باب الجدل والصراع حول العلاقة بين الأنا والآخر، والمقصود بهذه الثنائية بين الأنا والآخر الإسلام والغرب، وحولها إلى علاقة قائمة على المخاوف المتبادلة ورسخ المعارك المتبادلة بين الطرفين من واقع تأثير الهيمنة المادية والفكرية والحضارية". (التّميمي أمل، 2012)

ج-علاقة التفاعل والاعتراف: في هذه العلاقة يتبدى الغموض وينجلي الالتباس بين الذات والآخر، وتزول المخاوف والتمثلات الغامضة، ويحل السلم والأمان والعيش المشترك، بناءً على أرضية إنسانيّة صلبة. وإذا كان اختلافنا مع الآخر يشكّل انعكاسا يجعلنا نتمكن من تعريف ذواتنا وتحقيق هويتنا في مقابله، انطلاقاً من مجموع ما يكون ذاتنا الخاصة(Ramadan Tariq, 2009) ، فإنَّ وجود الآخر في هذه الحالة، لا غنى عنه في حياتنا سواء أكان مختلفا أم متفقا معنا. فقد يجب أن يكون هناك رسم لحدود التواصل بين الذات والآخر، والاعتراف المتبادل.

وتؤكّد حنا آرندت (Hannah Arendt)، أنَّ للكائن البشري "الحق في أن تكون له حقوق"، فالهدف من الوجود الإنساني يتمثل في تأكيد الذات وانتزاع الاعتراف، انطلاقاً

من الأفعال التي يقومون بها، ومن رغبتهم وقدرتهم على الإبداع والتغيير. (تورين آلان، 2017) فالعلاقة التي يجب أن تحكم التعامل بين الذات والآخر، بالرغم من الاختلاف والصراع، هو هذا البعد الوجودي الإنساني الإيجابي؛ إذ "لا ذات بدون الآخر، ولا آخر بدون الذات؛ ولا شرق بدون غرب ولا غرب بدون شرق، فكلاهما في حاجة عضوية ووجودية إلى الآخر، لا انفكاك عنها". (شوقي الزين محمد، 2012) كما أنَّ "تاريخ البشرية كله من حيث النزوع المحرك لفعالياته لم يكن سوى نسيج من خيوط الحب أو نقيضه، أو الرغبة والرهبة والوئام والخصام". (الكتاني محمد، 1992)

ومما يجب التذكير به في هذا السياق، هو أنَّ التفاعل مع الآخر في العصر العباسي، هو الذي أنتج لنا عصراً فاخراً ومتميزاً في العلم والمعرفة، وأنَّ الانغلاق والتقوقع على الذات هو الذي أسفر لنا عن عصور الانحطاط والتخلف والتبعية.

نشير إلى ثلاث نقاط/محددات أساسية في مسألة وجود الذات/ الآخر حسب ما ذهب إليه آلان تورين وهي: (تورين آلان، 2017)

أ-التعددية الثقافية بما تحمله من صور إيجابية للتعايش والاختلاف، إلاَّ أنَّها تشكّل في الآن خطراً متزايداً، خاصة مع النزعة التوحدية التي تفضي إلى صراعات ونزاعات.

ب-مع وجود الاختلاطات الثقافية في عالم ذابت فيه كل الحواجز المادية، يصبح البحث عن التواصل بين الثقافات أمر إيجابي.

ج-التصدي للمخاطر التي ترتكز على أقوى التفاعلات في تيمة الاختلاف، وما ينجم عنها من التمييز والحقد تجاه الآخر. من أجل ذلك، لا بد من الدعوة إلى (الاعتراف بالآخر من حيث هو ذات)، في سيرورة الانفتاح والتفاعل داخل الحياة الاجتماعية.

إنَّ مكونات وعناصر الهوية لا شك في أن تتعرض لعوامل التغيير بحكم طبيعة الكون المتنوع والمتغير، وأيضاً ما يلزم الذات مع نفسها ومع الآخر من تواصل وتفاعل، ينتج عنه بعداً إنسانياً يغني تجارب الهوية، كما يفسح لها مجالات رحبة تقوي فيها دوافع

التفتح والانفتاح، وتبادل التأثير والتأثر. (الجراري عباس، 2012)فإذا كانت معاملة الآخر/الغرب مشوبة بالنزعة المركزية القائمة على السيطرة والهيمنة والتعالي في تعاملاته السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة مع الأنا/العرب، فإنّ الأنا/العرب تشعر بالدونية وبالمظلومية وأنَّه ضحية هذه المعاملة، وهو ما يجعلها دائما تلقي باللوم على الأخر/الغرب، بكونه يعرقل تقدم الهوية وتطورها. في حين أنَّه لا يجب أن ننسب الكل للأخر، فللأنا قدراتها التحصينية في المحافظة على هويتها وخصوصيتها، وقدراتها التدبيرية في انفتاحها وتعاملها مع الأخر في شتى المجالات. (بوحسن أحمد، 2004)

ثالثاً: آليات التكيف والتفاوض مع الو اقع الهجروي

لا يخفى علينا وجود تكتلات من المهاجرين في أماكن مختلفة من دول الاتحاد الأوروبي وأمريكا، ممن تربطهم علاقات عائلية أو عرقية أو سكانية أو مهنية. كما هو الحال بالنسبة للمغاربة الموجودين في ديار المهجر، الذين يشكلون تجمعات وأحياء خاصة بهم في بعض الدول. وتمس شخصية المهاجر حالة من الذهول وانفصام بين الثقافة الغربية التي يحتك معها وبين ثقافته العربية التي يمتح منها، وعند حدوث أي اضطراب نتيجة خلخلة أو مسح أو مسخ للذاكرة ينسحب تباعاً على الذاكرة الجمعية وبالتالي على الهوية الجماعية.

ونشير إلى مفهوم الأنا المنقسم (divided self) الذي يعد من أهم المفاهيم ما بعد الحداثة، والتي أعطت له جوليا كريستيفا (julia Kristeva) شكله الأكمل والأتم، في سياق حديثها عن "الغريب في ذاته"، (تورين آلان، 2017) وهو الشعور الذي يعتري المهاجر في بلاد المهجر، حيث يحس بأنَّه غريب عن نفسه، وعن العالم ككل، من جراء ابتعاده عن وطنه الأصل، وما يمنحه هذا الأخير من شعور الانتماء.

من خلال تحليلنا لأثر انتماء الذات المهاجرة سواء الوطني أو الاجتماعي أو الإثني، يتبين لنا من خلال تصريحات المبحوثين؛ مدى قوته وحضوره لدى بعض الفئات الاجتماعية ومدى تلاشيه وضموره لدى فئات أخرى.

أ-آليات التكيف مع الواقع الهجروي

لا يفتأ المهاجر في ديار المهجر، السعي نحو التأقلم مع واقعه الجديد، وفق استراتيجيات التعامل والانفتاح على الآخر، وهو ما ينعكس من خلال سلوكه وممارساته، جاعلا صلب عينيه، نوستالجيا النوستوس NOSTOS (الحنين إلى البلد والرغبة في العودة إليه)، الذي ترتكز عليه ملحمة الأوديسا (مابا صوفيا، 1988). ولعل المقولة الشعبية (دير علاش ترجع)، خير ما يمثل هذا الأمر، وتكون حافزاً مهما للمهاجر مهما طالت إقامته في بلاد المهجر، الرجوع إلى بلده الأصل.

إلاَّ أنَّ هذا الرجوع لا يكون نهائيا في مطلق الأحوال، إلاَّ لماماً، فعندما يؤثث المهاجر لمستقبله في تلك الديار التي تصبح هي الوطن الأم بالنسبة للأبناء باعتبارها مسقط رأسهم، يقول أحد المبحوثين في هذا الصدد: "**يستحيل نرجع المغرب، هنا مستقبلي ومستقبل أولادي، وحتى إلى فكرت نرجع تما وندير شي حاجة الظروف تما متتساعدتش، فحتى يولي المغرب بحال هنا في القانون وحرية والكرامة عاد ديك ساعة رجع ونكون في مأمن على مسقبل أولادي**".(ع.ح، 44 سنة، لندن)

إنَّ المهاجر عندما يشعر في بلده الأصل بتهميش وجوده اجتماعيا، وبالتالي بانعدام وجوده في الوسط الذي ينتمي إليه، فغالبا ما يتولد له شعور بـ (الترك)، وعدم العودة إليه. ولعل هذا ما أخبرنا به جل المبحوثين، إلاَّ في حالة استثنائية ظلت تتردد على لسانهم وهي: "**نرجع غير على ود الواليدين والأحباب والأصدقاء**".(م. ف، 56 سنة، لندن) فالإنسان يرغب في الهجرة إلى الضفة الأخرى من أجل التعرف على مجتمعات جديدة، وتحسين مستواه المعيشي في إطار الاعتكاف والعودة التي تطرق إليها بالشرح أرنولد توينبي في دراسته للتاريخ. (صدقي الدجاني أحمد، 1993)

كل هذا شكل حافزاً للمهاجر في تدبيره اليومي والعلائقي، من أجل التأقلم والعيش في هذه البيئة الجديدة، والتي تصبح وطنه الثاني الذي وجد فيه العسل، عندما غادر قطران بلداه. وتعمد الأسر المغربية المهاجرة إلى القيام بممارسات معينة، من قبيل أساليب الطبخ أو اللباس أو الموسيقى، وهي ممارسات نابعة بالأساس من الثقافة

الأصلية؛ تتجلى في ميادين الحياة اليومية العادية في المهجر، تأكيداً للهوية والانتماء، وسعياً للتكيف مع الواقع في نفس الآن. في اتجاه آخر، يسعى الأفراد المهاجرون إلى استراتيجيات التجمع الأسري/العائلي، قصد الوصل بعد الانفصال الذي ساهم في إذكائه البحث عن لقمة العيش في بلاد المهجر، من خلال فعل التجمع يسعى الأفراد والجماعات إلى تحقيق وجودهم وانتمائهم، وتحصينهم من تيارات المجتمع المستقبل.

ويطرح السؤال التالي: هل من أجل تحقيق هوية المهاجر يبحث عن دائرة انتماء تحقق له وجوده الذاتي، على اعتبار أنَّ "التمسك بالذات شرط من شروط الحياة بالنسبة لجميع المجتمعات"، (الجيراري عباس، 2015) بغض النظر عن انتمائه الوطني أو القبلي أو الديني؟ وهل يمكن تحقيق الوعي بالانتماء إلى الوطن من خلال اكتشاف الآخر، ومن ثم الاعتزاز بالهوية والانتماء؟

معلوم أنَّ الهوية هي سمة مائزة للفرد عبر مسار حياته ووجوده بما تحمله من سلبيات وإيجابيات، فإذا ذهبنا مع كاردنر(Kardiner) بأنَّه في كل نظام اجتماعي ثقافي شخصية أساسيّة يتميز بها، وفي هذا قال بأنَّ: "الأنا هي ترسب ثقافي"، (سبيلا و بن عبد العالي عبد السلام، 1996) ألا يعني هذا أنَّ الأجيال التي ازدادت في بلاد المهجر حصل لها هذا الترسب الثقافي بالفعل، وأصبحت تدين بثقافة غير ثقافتها الأصلية بحكم النشأة والوطن الذي ترعرع فيه؟

يحكي لنا أحد المبحوثين (ي.ب، 38 سنة، بلباو، إسبانيا)، أنَّ فئات عريضة، خاصة من الأجيال التي ازدادت ونشأت في هذا البلد، حصل لهم انسلاخ ثقافي، وأصبحوا مثل الغرب في ثقافته وسلوكه وممارساته، وأشار إلى وجود إغراءات كثيرة، إذا لم تجد من يشد عضدك، فإنَّك ستنجرف مع تيار الآخر وتصبح مثله في كل شيء. ناهيك عن قانون حقوق المثليين/الشواذ جنسياً، وقانون حرية الطفل في اختيار أي جنس يريد؛ أن يكون ذكراً أو أنثى، وهذين القانونين من أخوف ما يخاف منه العرب والمسلمين في بلاد المهجر، على مستقبل فلذات أكبادهم. وهذه ملاحظة تسري على جميع البلدان الأوروبية - كما أخبرنا بذلك المبحوثين - من الأجيال التي تشبعت بثقافة الآخر، بحكم

المولد والنشأة، إلاَّ أنَّ منهم ممن استطاع أن يذكي في أبنائه من الأجيال المتأخرة، الشعور بالانتماء للوطن الأصل، وبهويته العربية الإسلامية.

ب-آليات تدبير المعتقد الديني:

إنَّ من سمات المجتمع ومرتكزاته الهوياتية تلك التي تتجلى في معايير الدين والقيم والأعراف والعادات والتقاليد التي يدين بها أفراده وجماعاته. من هنا، نتساءل هل الحفاظ على البعد الهوياتي يحتاج إلى فن التدبير لكي يمارس المهاجر طقوسه ومعتقداته دون أن يتعرض للمضايقات من قبل الآخر؟ وهل القبول والتماهي مع الآخر يؤدي إلى تهميش الأنا/الذات، وبالتالي تهجين المسارات التدبيرية العقائدية في بلاد المهجر؟ أم على العكس من ذلك؟

في إطار الخصوصية والهيمنة الغربية على جميع الثقافات الأخرى، وتأثيراتها على الأقليات الإثنية الموجودة في بلدانها، ذكر محمد علي حوات أنَّ الغرب العولمي يسعى إلى تعزيز خصوصيته وتقويتها ويحرص في المقابل على استبعاد "من دائرة التقدم والحداثة والعقلانية كل الثقافات التي تقع خارج المساحة الغربية، والخطاب الغربي حول الخصوصيات الثقافية خطاب مخادع يريد للآخرين وفي مقدمتهم العرب والمسلمين أن يبقوا أسرى تاريخهم ورهن هويتهم الضيقة أو انتماءاتهم التقليدية الهامشية". (علي حوات محمد، 2004)

وسعيا منا إلى تسليط الأضواء على بعض الاستراتيجيات المتبعة في تدبير المعتقد الديني من أجل التعبير عن الهوية والانتماء، في الحضور والغياب ضمن عملية مد وجزر، بحثاً عن والوجود الذاتي في معركة الآخر، نشير إلى مسألة تأثير علاقات الدول المستقبلة للهجرة مع المهاجرين الذين يعيشون في الضواحي على وجه الخصوص، وما ينجم عنها من توترات بنيوية وهيكلية، ومشاكل اقتصادية واجتماعية، من جهة تحميل مسؤولية البطالة للهجرة عند اليمين العنصري، ومن جهة أخرى الجاليات المهاجرة التي يقاسي جزء منها من تدني مستوى التعليم والمعرفة والوعي السياسي، إضافة إلى "فشل سياسات الهجرة وخاصة تلك المتعلقة بالاندماج، والخوف في الدول الأوروبية على

الهوية الوطنية التي تهددها العولمة، الأمر الذي يساعد في تصاعد نفوذ اليمين العنصري ذي الطابع الشعبوي، ويؤسس لحوار سلبي أو حوار نفي الآخر". (حتّي ناصيف، 2004)

يجعلنا هذا الحديث، في ظل هذا الواقع الهجروي الموسوم بالتوتر في أغلب الأحيان، أمام تعبير حقيقي لمدى ممارسة المهاجرين لعاداتهم وتقاليدهم وكيفية تدبير معتقدهم الديني، خاصة إذا علمنا أنَّ الإسلام يعتبر "الديانة الثانية بعد المسيحية في أوروبا، إلا أن معظم الدول الأوروبية لا تعترف بالأقليات العربية والإسلامية رسميا فيها، على أساس أن تلك الدول علمانية، لا تفرق بين دين وآخر، ولا تعامل مواطنيها على أساس ديني". (سعيد نوفل أحمد، 2004)

في دولة فرنسا مثلاً، كما أشار بعض المبحوثين إلى تخوفهم من عدم الاستقرار والأمن، والحرية التامة في ممارسة المعتقدات وشعائرهم الدينية، ومن عنصرية الفرنسين تجاه العرب بصفة عامة، ويعضد هذا القول أحمد سعيد نوفل بقوله: "يشعر العرب في فرنسا بعدم الأمان والاستقرار، بسبب القوانين الفرنسية المفروضة على الأجانب، حتى من يحمل منهم الجنسية الفرنسية". (سعيد نوفل أحمد، 2004)

تجدر الإشارة إلى اتفاقية 28 كانون الأول/ديسمبر 2000، التي شكّلت نقطة تحول هامة بالنسبة للمهاجرين العرب والمسلمين؛ وقد اعترفت فرنسا بالإسلام ديناً رسمياً ضمن الأديان المعترف بها كالمسيحية واليهودية، وتنص بنود الاتفاقية على "حق المسلمين في حرية التدين وممارسة شعائر دينهم في أمان تام، إلى جانب حرية الزي الإسلامي، وأكل اللحم الحلال، وبناء المساجد والمقابر الخاصة بالمسلمين، وحق بناء المدارس الإسلامية"، (سعيد نوفل أحمد، 2004) وهذه الحقوق نجدها تقريباً في جميع الدول الأوروبية كما صرح بذلك المبحوثين. إلاَّ أنَّه، وكما هو معلوم أنَّ فرنسا هي "دولة علمانية لا تتدخل في شؤون الأفراد، أيّا كانت ديانتهم، بيد أنها تشجع وجود (إسلام فرنسي) وليس مسلمين في فرنسا، أي تريد انصهار المسلمين في المجتمع العلماني الفرنسي". (سعيد نوفل أحمد، 2004)

ما شهدته أوروبا من كوارث في القرن العشرين، جعل المهاجرين فيها قبلة لحركة الرفض، وبالأخص الذين هاجروا بطريقة غير قانونية؛ حيث تتم ملاحقتهم من قبل الشرطة، أمَّا المهاجرين الآخرين المرفوضين فغالبا ما ينكفئون على أنفسهم في وضعية مزرية، الشيء الذي يؤدي إلى اللاندماج ويكرس التباعد القائم بين الأقلية والأغلبية. هذا بالرغم من الجهود الرامية إلى تقليص الجهل بالإسلام، إلاَّ أنَّ الإسلاموية المتشددة (المبتعدة عن الواقع الديني الخالص للإسلام)، تبقى أكثر بروزاً من الإسلام باعتباره (ثقافة دينية) على حد تعبير آلان تورين. (آلان تورين، 2017)

إنَّ الذين ينشغلون بفكرة الخوف من الإسلام في الغرب، أو ما يطلق عليه الإسلاموفوبيا، يعتبرون أنَّ "المجتمعات الإسلامية تحمل في ثنايا ثقافتها عناصر الاستبداد والسلطة المطلقة. ويلتقي طرحهم هذا مع بعض المسلمين المتطرفين الذين يرون أنَّ كل ما نتج عن الغرب يجب مواجهته بالمقاومة لأنَّه دخيل على الإسلام. والواقع أنَّ هذه مقاربة كلا الطرفين تنم عن قصور فكري وعن نظرة ضيقة لتاريخ الفكر الديموقراطي". (بورقية رحمة، 2015) هذه النظرة التي يجب تصحيحها لا بالنسبة لهؤلاء ولا إلى هؤلاء، وفق منطلقات دقيقة وسليمة.

لقد أطلعتنا وسائل الإعلام ونحن بصدد كتابة هذه الورقة البحثية، ما قام به رجل غربي من إحراق نسخة من المصحف الشريف بالعاصمة الدنماركية كوبنهاغن أمام مقر تمثيلية دبلوماسية لدولة مسلمة، وأمام أنظار رجال الأمن يمس بمقدسات أكثر من مليار مسلم في بداية شهر رمضان 2023، وأيضا الذي قام بحرق مسلم مُسنّ في برمنغهام ببريطانيا شهر مارس 2023. وإذا تمعنا في الأمر، نجد أنَّ هذه الممارسات تُعَرِي عن المخفي والدفين تجاه الآخر/ العرب، وتجاه الإسلام بصفة عامة.

في هذا الصدد، أيضا أكَّد لنا أحد المبحوثين، أنَّه "أثناء خروج المصلين من أحد المساجد تفاجئوا بالماء يصب فوق رؤوسهم من الشقة التي فوق المسجد التابعة لأحد الإسبان، دون معرفة هوية من يصب الماء، على اعتبار أنَّه لو عرفت هويته سيعاقب طبقا للقانون على فعلته هذه". (ع.ج، 45، إسبانيا)

وإذا كانت مجموعة من الشرائح الاجتماعيّة المنتمية للإسلام تستقر في أوروبا، وخاصة في الأراضي الفرنسية، وما تمارسه من شعائر وطقوس دينية؛ من صيام رمضان وما له من وقع في الحياة اليومية في ديار المهجر، فإنَّه يتعين فهم هذا الأمر من وجهين هما: أولاً؛ أنَّ الإسلام في أوروبا يضطلع بدور حيوي وتحديثي داخل العالم الإسلامي ككل. وثانياً؛ ما يشكله حضور المسلمين من تأثير على المجتمعات الأوروبية، مما جعلها تعيد إظهار أساسها الديني الذي شهد تراجعا منذ زمن وتعزيزه، فضلاً عن الطلب المتزايد على الروحانية والتفكير في معنى الحياة لدى طوائف من المؤمنين لديها (تورين آلان، 2017).

في إطار المد والجزر الذي يطبع العلاقات مع الذات والآخر، فإنَّه يصعب أن "نتحدث عن تسامح أو نتحدث عن مساواة حيث تكون النزاعات على أشدها. وكذلك يصعب الحديث عن التسامح والمساواة حيث تكون المرجعية يشكلها دين تكون له الهيمنة، بحيث يكون المستمسكون بالأديان الأخرى محصورين في وضعية من التبعية". (تورين آلان، 2017)

على أيَّة حال، إنَّ مسارات الأنا المهاجرة في مجالات مختلفة من البلاد الغربية، وما تعانيه من سوء الاندماج الثقافي والاجتماعي والأخلاقي، أحدثت تأثيراً بالغ الأثر في جميع المستويات الاجتماعيّة، والعلاقات الأسريّة، وهوية الأفراد، هذا بالرغم من الرغبة المتولدة لدى الأنا المهاجرة في الانتماء والاعتراف والمشاركة، وتذويب الاختلافات ضمن التنوع والتعدد في إطار الوحدة.

خاتمة

إلى هنا نكون قد ألممنا ببعض عناصر النسق التفاعلي للثنائيات المشكلة للأنا والأخر، الشمال والجنوب، الشرق والغرب، في السياق الهجروي الذي هو بالأساس مرتبط أشد الارتباط بإفرازات الواقع المعيش، وبالسياسات الاقتصادية المتبعة في البلاد، وبالنظام التعليمي القائم الذي لا يتناسب ومتطلبات سوق الشغل، لتبقى مشاكل الهجرة مستمرة ما استمر الزمان. هذا بالرغم من الكتمان والتجاهل من قبل الجهات الرسمية، خاصة فيما يتعلق بالهجرة السرية وتداعياتها.

إنَّ المهاجر عبر مساراته المتنوعة في بلاد المهجر، يبحث عن ذاته في صلب المنظومة الجديدة التي أصبح يعيش فيها، فكونه يعتبر فاعل اجتماعي/هامشي بالنسبة للدولة المستقبلة، تتنازعه تعد الهويات والانتماءات. لذلك تصبح العلاقة بين الذات والآخر التي يتم نسجها في سياقات مختلفة، هي التي تحدد شروط الممارسة في كافة المجالات، إمّا بطريقة سلبية أو إيجابية، انطلاقاً من الحمولات الثقافية التي يحملها كل منهما عن الآخر.

ببليوغرافيا

ابن خلدون عبد الرحمان. (1996). تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المقدمة،. لبنان، بيروت: دار الفكر.

إتزيوني أميتاي. (2005). الخير العام: إشكاليات الفرد والمجتمع في العصر الحديث. (ندى السيّد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الساقي.

آلان تورين. (2017). نهاية المجتمعات. (عبد الرحيم زحل، المترجمون) الرباط، المغرب: دار الأمان.

التّميمي أمل. (2012). السرد (السير ذاتي) في الأدب الوسائطي: السيرة الذاتية التلفزيونية أنموذجا. بيروت، لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون.

الجراري عباس. (2012). الهوية الوطنية والجهوية. تأليف أكاديمية المملكة المغربية (المحرر)، الهوية المغربية في ضوء محدداتها الدستورية، (صفحة 31). الرباط.

الجيراري عباس. (2015). ثقافتنا والعولمة. أكاديمية المملكة المغربية(32)، صفحة 25.

الجطاري بلقاسم. (أكتوبر, 2004). الهجرة المغاربية: وضعيتها الثقافية، علاقتها بالهوية ورهاناتها المستقبلية. دفاتر مركز الدراسات والأبحاث حول حركات الهجرة المغاربية(7)، صفحة 54.

الكتاني محمد. (1992). الحب الإلاهي في التراث الأندلسي (الإصدار مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية). الرباط، المغرب.

الكتّاني محمد. (2012). نظرات حول المكون الديني للهوية المغربية. تأليف أكاديمية المملكة المغربية (المحرر)، الهوية المغربية في ضوء محدداتها الدستورية، (صفحة 48). الرباط.

المودني عبد اللطيف. (2012). مداخل لحكامة البعد اللغوي للهُوية المغربية (صفحة 244). الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.

الهروي الهادي. (2004). المغرب المعاصر ورهانات المستقبل: الأوليات السيوسيولوجية للتغير والتنمية بالمغرب، دراسة في نقد ثوابت التخلف ومتغيرات التنمية (الإصدار مطابع أمبريال). القاهرة، مصر.

أوريول ميشيل. (1988). النماذج الايديولوجية والنماذج الثقافية في إعادة تكوين الهوية الجماعية في حالة الهجرة. تأليف مطبعة المعارف الجديدة (المحرر)، الهجرة المتوسطية بين الأمس واليوم، (الصفحات 115-116). الرباط.

بن عبد العالي عبد السلام. (2012). الفلسفة فنّاً للعيش. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

بوحسن أحمد. (شتنبر, 2004). تشييد الآخر في الثقافة العربية الإسلامية. مجلة المناهل(72/71)، الصفحات 63-62.

بورقية رحمة. (2015). نظريات العدالة الاجتماعية. مجلة الأكاديمية(32)، صفحة 124.

حتّي ناصيف. (2004). العلاقات العربية الأوروبية حاضرا ومستقبلا (الإصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر). بيروت، لبنان.

سبيلا محمد، و بن عبد العالي عبد السلام. (1996). الطبيعة والثقافة. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر،.

سعيد نوفل أحمد. (2004). دور العرب في أوروبا: الانتخابات الفرنسية نموذجا (الإصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر). بيروت، لبنان.

شوقي الزين محمد. (2012). الذات والآخر: تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع (الإصدار منشورات ضفاف). بيروت، لبنان.

صدقي الدجاني أحمد. (1993). تأملات في الهجرة وسياستها ومستقبلها، الاحتمائية الاقتصادية وسياسة الهجرة،. (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المحرر) الرباط، المغرب: أطلال العربية للطباعة والنشر.

علي حوات محمد. (2004). العرب والعولمة: شجون الحاضر وغموض المستقبل (الإصدار مكتبة مدبولي). القاهرة، مصر.

غلاّب عبد الكريم. (2012). تحدي الهوية للاستعمار. الهوية المغربية في ضوء محدداتها الدستورية (صفحة 66). الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.

م رُوزنتال، و ب يُودين. (1987). الموسوعة الفلسفية. (سمير كرم، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

مابا صوفيا. (1988). الهجرات المتوسطية وأثرها في تكوين أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. تأليف منشورات جامعة الشريف الإدريسي المفتوحة (المحرر)، الهجرة المتوسطية بين الأمس واليوم (صفحة 117). الهلال العربية للطباعة والنشر.

نهاية المجتمعات. (2017). (عبد الرحيم زحل، المترجمون) الرباط، المغرب: دار الأمان.

Mohamed, B., Haas, H. d., & Katharina Natte. (2021). Social Transformations and Migrations in Morocco (éd. IMI working paper series).

Ramadan Tariq. (2009). L’autre en nous, Pour une philosophie du pluralisme (éd. presses du Chatelet). paris.